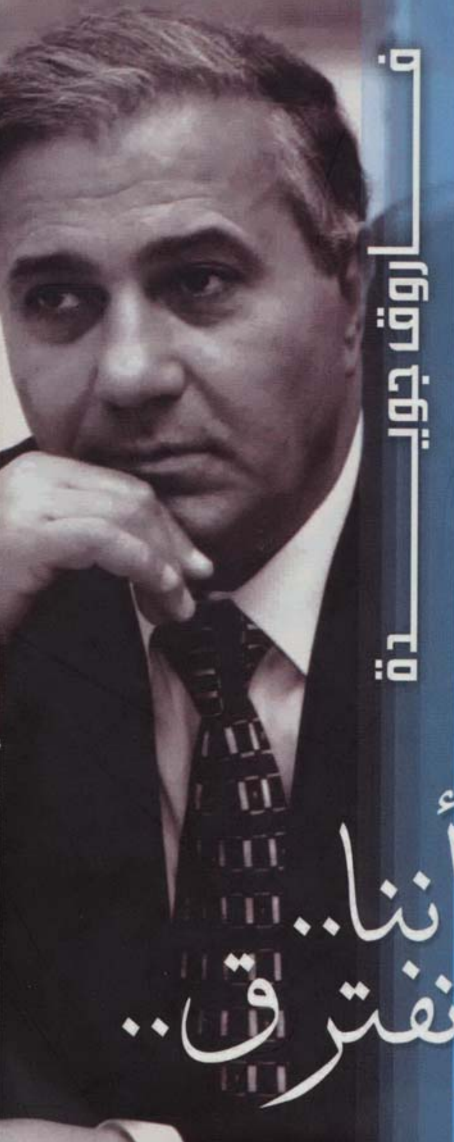


لو أننا.. لم نفترق..

فاروق جويدة

دار الشروق

فـــــــاروق جويـــــــــدة

لو أننا.. لم نفترق..

دار الشروق

لو أننا.. لم نفترق..

الطبعة الأولى ٢٠٠٥
الطبعة الثانيـة ٢٠٠٧
الطبعة الثالثـة ٢٠٠٨
الطبعة الرابعة ٢٠١٠

رقم الإيداع ١٥٠٦٤/ ٢٠٠٥
ISBN 977-09-1320-0

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧(٢٠٢) +
email: dar@shorouk. com
www. shorouk. com

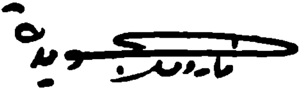
إهداء

أنا لم أكنْ أدرِى

بأنَّ بداية الدنيا لديكِ

وأنَّ آخرها إليكِ

وأنَّ لقْيَانا.. قدرْ



القصائد

لو أننا.. لم نفترق

لَوْ أنَّنَا . . لَمْ نَفْتَرِقْ
لبَقِيتُ نجمًا فى سَمائِك سارِيًا
وتَركتُ عُمرِىَ فى لهِيبِك يَحْترِقْ
لَوْ أنَّنِى سَافرتُ فى قِمَمِ السَّحابِ
وعُدتُ نَهرًا فى ربُوعِك يَنطلِقْ
لَكِنَّها الأحلامُ تَنثُرنَا سرابًا فى المدَى
وتَظلُّ سرًا . . فِى الجوَانحِ يَخْتنِقْ

* * *

لَوْ أنَّنَا . . لَمْ نَفْتَرِقْ
كَانَتْ خُطَانَا فِى ذُهولٍ تَبتعِدْ
وتَشُدُّنا أشْواقُنا
فنعُودُ نُمسِكُ بالطَّرِيقِ المرتَعِدْ

تُلقِى بنَا اللَّحظَاتُ
فى صَخبِ الزّحامِ كَأنَّنا
جَسدٌ تَناثَرَ فى جَسدْ
جَسَدانِ فى جَسدٍ نسيرُ.. وَحولْنا
كَانتْ وجوهُ النَّاسِ تجَرِى كالرّياحِ
فَلا نَرَى مِنْهُمْ أحدْ

* * *

مَا زِلتُ أذْكرُ عندَما جَاء الرَّحيلُ..
وَصاحَ فى عَيْنى الأرقْ
وتَعثَّرتْ أنفاسُنَا بينَ الضُّلوعِ
وعَادَ يشْطرُنا القَلقْ
ورَأيتُ عُمرىَ فى يَدَيْكِ
رِياحَ صَيفٍ عابثٍ
ورَمادَ أحْلامٍ.. وَشيئًا مِنْ ورَقْ
هَذَا أنا..

عُمرِى وَرَقْ

حُلمِى ورَقْ

طِفلٌ صَغيرٌ فى جَحِيمِ الموجِ

حَاصرَه الغَرقْ

ضَوءٌ طَريدٌ فى عُيونِ الأُفْقِ

يَطوِيه الشَّفقْ

نجمٌ أضَاءَ الكَونَ يَومًا.. واحْتَرقْ

❊ ❊ ❊

لاَ تَسْألى العَينَ الحزِينةَ

كَيفَ أدْمتْها المُقَلْ؟!

لاَ تَسْألِى النَّجمَ البعيدَ

بأىّ سرّ قد أفَلْ؟!

مَهمَا تَوارَى الحُلمُ فِى عَينِى

وَأرّقنِى الأجَلْ

مَازِلتُ ألمحُ فى رَمادِ العُمُرِ

شَيئًا من أمَلْ
فَغداً ستنْبتُ فى جَبينِ الأفْقِ
نَجماتٌ جَديدهْ
وَغداً ستُورقُ فى لَيالِى الحزْنِ
أيَّامٌ سَعِيدهْ
وغداً أراكِ عَلَى المدَى
شَمْساً تُضِيءُ ظلامَ أيَّامِى
وإِنْ كَانَتْ بعِيدهْ
لَوْ أننَا لَمْ نَفترِقْ
حملتك فى ضَجرِ الشَّوارعِ فَرْحتِى..
والخوفُ يُلقِينِى عَلى الطُّرقاتِ
تَتمَايلُ الأحلامُ بينَ عُيونِنَا
وتَغيبُ فى صَمت اللِّقا نَبضَاتِى
واللَّيلُ سكّيرٌ يُعانقُ كأسَه
وَيطوفُ مُنْتَشياً عَلَى الحانَاتِ

والضَّوءُ يَسْكبُ فى العُيُونِ بَرِيقَه

وَيهِيمُ فى خَجلٍ عَلَى الشُّرفَاتِ

كُنَّا نُصَلّى فى الطَّريقِ وحَوْلَنا

يَتنَدَّرُ الكُهَّانُ بالضَّحكَاتِ

كُنَّا نُعانِقُ فى الظَّلامِ دُموعَنا

والدَّربُ مُنفَطِرٌ مِنَ العَبراتِ

وتوقَّفَ الزَّمنُ المسافِرُ فى دَمِى..

وتَعثَّرتْ فِى لَوعةٍ خُطوَاتى

والوَقتُ يرتَعُ.. والدَّقائقُ تَختَفِى

فنُطَاردُ اللَّحظَات.. باللَّحظَاتِ..

مَا كُنتُ أعْرِفُ والرَّحِيلُ يشدُّنا

أنّى أوَدّعُ مُهْجتِى.. وحيَاتِى

مَا كَانَ خَوفِى منْ وَدَاعٍ قَدْ مَضَى

بَلْ كانَ خوفِى منْ فِراقٍ آتِ

لَم يبقَ شَىءٌ منذُ كانَ وداعُنا

غَيرُ الجِراحِ تَئِنُّ فى كَلِمَاتى
لَوْ أنَّنَا لَمْ نَفترِقْ..
لَبقِيتِ فِى زَمنِ الخَطِيئَةِ تَوْبتِى
وجَعَلتُ وجْهَكِ قِبْلَتِى.. وصَلاَتِى



لوْ ترْجِعِين..؟

مَا عُدْتُ أعْرِفُ..
أيْنَ أنتِ الآنَ يا قَدَرى
وفِى أىّ الحَدائقِ تُزهِرِينْ؟
فِى أىّ رُكنٍ فى فَضَاءِ الكَوْنِ
صِرْتِ تُحلّقِينْ؟
فِى أىّ لُؤلُؤةٍ سَكَنْتِ.. بأىّ بَحْرٍ تَسبَحِينْ؟
فِى أىّ أرضٍ..
بينَ أحْداقِ الجَداولِ تَنْبُتِينْ؟
أىُّ الضُّلوعِ قَدِ احْتَوتك
وأىُّ قَلبٍ بَعْدَ قَلبِى تَسكُنينْ؟

* * *

مَا زِلتُ أنْظرُ فِى عيُونِ الشَّمْسِ

عَلَّكِ فى ضِيَاها تُشرِقينْ
وأطِلُّ للبَدْرِ الحزينِ لَعَلَّنى
ألقاكِ بينَ السُّحْبِ يَوماً تَعبُرينْ
لَيلٌ مِنَ الشَّكِّ الطويلِ أحَاطَنِى
حَتَّى أطَلَّ الفَجرُ فِى عَينيكِ نَهرًا مِنْ يَقِين
أهْفُو إلَى عَيْنَيْكِ سَاعَاتٍ..
فَيَبدوُ فِيهمَا
قَيْدٌ.. وعَاصِفَةٌ.. وعُصْفُورٌ سَجِينْ
أنَا لَمْ أزَلْ فوقَ الشَّواطئِ
أرْقُبُ الأمْواجَ أحْياناً
يُراوِدُنِى حَنِينُ العَاشِقِينْ

* * *

فِى مَوكبِ الأحلاَمِ ألمحُ مَا تَبقَّى
مِنْ رَمادِ عُهودِنَا..
فَأراكِ فِى أشْلائِها تَتَرنَّحِينْ
لَمْ يبْقَ مِنْكِ

سوَى ارْتعَاشَة لحظَة
ذابَتْ علَى وجْه السِّنينْ
لَمْ يبقَ مِنْ صمْت الحقَائِب
والكُئوسِ الفَارغَات سوَى الأنينْ
لَمْ يبقَ مِنْ ضَوْءِ النَّوافذِ..
غَيرُ أطيْافٍ تُعَانقُ لهفَتِي
وتُعِيدُ ذكرَى الرَّاحلينْ
مَا زِلتُ أسْألُ: ما الَّذى
جَعلَ الفرَاشَةَ تُشعلُ النِّيرانَ
فِى الغُصْنِ الوَدِيعِ المستْكِينْ؟!
مَا زِلتُ أسْألُ: مَا الَّذى
جَعلَ الطُّيورَ تَفِرُّ منْ أوكَارِهَا
وَسَطَ الظَّلامِ..
وتَرتَمِى فِى الطِّينْ؟!

* * *

مَا عُدْتُ أعرِفُ..

أينَ أنت الآنَ يا قَدَرِى
إِلَى أىّ المدَائِنِ تَرْحَلِينْ؟
إِنّى أرَاكِ
عَلَى جَبِينِ الموْجِ..
فِى صَخَبِ النَّوارِسِ تَلْعَبِينْ
وَأرَى عَلَى الأُفق البَعيد
جَناحَكِ المنقُوشَ مِنْ عُمرِى
يحلّقُ فَوقَ أشرِعَةِ الحنينْ
وأرَاكِ فِى صَمتِ الخرِيفِ
شُجَيْرَةً خَضْراءَ..
فِى صَحراءِ عُمرى تَكْبُرِينْ
وَيظَلُّ شعْرِى
فِى عُيونِ النَّاسِ أحْداقًا
وَفى جَنْبَىَّ سراً.. لا يَبِينْ
لَمْ يبقَ مِنْ صَوْتِ النَّوارِسِ
غَيرُ أصدْاءٍ تُبعْثِرُها الرّياحُ فَتنْزَوِى

أسَفًا عَلَى الماضِى الحزِينْ
أنا لمَ أزَلْ بينَ النَّوارِسِ
أرقُبُ اللَّيلَ الطَّويلَ
وأشتَهِى ضَوءَ السَّفِينْ
مَا زلتُ أنَتظِرُ النَّوارِسَ
كُلَّما عَادَتْ مَواكِبُها
وَراحَتْ تَنثُرُ الأفراحَ فَوقَ العَائِدِينْ

* * *

مَا عُدْتُ أعرِفُ..
أينَ أنْتِ الآنَ يا قَدَرِى
وفِى أىِّ الأماكِنِ تَسْهَرِينْ؟!
الْعَامُ يَهرَبُ مِنْ يَدِى
مَا زالَ يَجْرِى فِى الشَّوارِعِ..
فِى زِحَامِ النَّاسِ مُنْكَسِرَ الجبِينْ
طِفْلٌ عَلَى الطُّرقاتِ
مَغسُولٌ بلَوْنِ الحبِّ

فِى زَمنٍ ضَنِينْ
قَد ظَلَّ يسْألُ عنْكِ كُلَّ دقيقَةً
عنْد الوَداعِ.. وَأنتِ لا تَدْرِينْ
بالأمْسِ خَبَّأنِى قَليلاً فِى يَديْه..
وقَالَ.. فِى صَوْتٍ حَزِينْ:
لَوْ ترجِعينْ
لَوْ تَرجِعينْ
لَوْ تَرجِعينْ



امرأة لم تأتِ بَعدُ

يضيقُ الكونُ فى عينى
فتُغرِينى خيالاتِى
فأرسمُ وجهكِ الفضِّىَّ..
فوق شَواطِئ الذِّكرى..
وتحتَ ظلالِ غيماتِى
أحلِّقُ فوقَ وجهِ البَحرِ
أركضُ فوقَ ظهرِ الريحِ..
أسبحُ فى سَماواتِى
وجوهُ الناسِ أشلاءٌ مُبعثرةٌ
عَلى أطْلالِ مرآتى
فسيحٌ وجهُ هذا الكَونِ
لكننى بلاَ سببٍ

أضيقُ بسجنه العَاتِى
أنَا النِّيرانُ.. لا الألوانُ تَخدَعُنىِ
وَلا زيفُ الشعارات
أنَا البُركانُ.. لا قيدٌ يحاصرنى
ولا عصرُ النفايات
أنا التاريخُ.. والذِّكرى
أنا سِرْبٌ من الأقمارِ..
أسبحُ فى مَداراتِى
أحبُّ الكونَ أجزاءً مبعثرةً
تعانقُها انشطاراتى
أحبُّ الغيمَ أمطارًا مشرَّدةً
تُلَمْلمُها سحاباتى
أحبُّ الموتَ فى بركانِ عاصِفتى
وبين جَحيمِ أبيَاتِى
أحبُّ شواطِئَ الترحالِ تحملُنى
بعيدًا عن حماقَاتى

أحبُّ حدائقَ النسيانِ . .
تُنسِينى عَذابَاتِى
أنَا المسجُونُ فِى حُلْمى
وَفى مَنْفَى انكسارَاتى
أنَا فى الكونِ عصفورٌ
بِلا وطنٍ
أسَافِرُ فِى صَباباتى
أنَا المجْنونُ فِى زَمنٍ . . بلا لَيْلى
فأيْنَ تكونُ لَيْلاتِى؟

* * *

يَضيقُ الكونُ فى عينى
فتُغرينى خَيالاتِى
أُحبَّك نَجمةً بيضاءَ . .
تَخْطرُ فِى سَماواتِى
أحبُّك رِعشةً بالنورِ
تَمحو زيفَ سَاعَاتِى

أحبُّكِ خمرةً بالشوقِ..
تؤنسُ ليلَ كاسَاتى
أحبُّكِ توبةً عذراءَ..
تهربُ من ضَلالاتِى
أراكَ الضوءَ حين تضلُّ قَافِلتى
وتَطْوِينى متَاهاتى
أراكَ الأمنَ..
حين يُطلُّ جَلادِى
ويبدو وجهُ مأساتِى
عَلَى أمواجِكِ الزرقاءِ..
تنبتُ ألفُ لؤلؤةٍ
تُعانقُ دفءَ موجَاتِى
أنا وطنٌ.. بلا زَمنٍ
وَأنتِ.. زَمانِىَ الآتِى



عُصفورة

عُصفورَةٌ سقَطتْ
عَلى أغصانِ قَلبِى.. وارتَمتْ
وجَناحُها المكسورُ فى عَينىِ بقَايا
لململتُ أشلاءَ الجناحِ فغرَّدتْ
أسكنتُها قَلبى..
ونَامتْ فى الحنَايا
عَلَّمتُها دِفءَ الحياةِ.. فَرفْرفَت
أيامُها فرحًا..
وَطارتْ فى سمايا
شَربتْ من العُمرِ الجميلِ..
وسَافرتْ بَينَ الضلوعِ

بَريقَ صبُحٍ في دِمايا
كَانتْ تطيرُ علَىَ جَبينِى نسمةً
عَذراءَ تَشدُو..
كُلَّ أحلامِ الصَّبايا

* * *

وَصحَوتُ يومًا..
لَم أجِد فى العشِّ شيئًا
غيرَ أصداءِ الحكَايا
ونظَرتُ فى الأفقِ البعيدِ..
فَلم أجدْ
غيرَ الغصون تُعيد فى حزنٍ ندايا
فى أىِّ عشٍّ
تَعبثينَ الآنَ يا قلبى
وتُلقينَ الشظايا
لَملمتُ ريشَكِ

كَىْ يطيرَ جناحُكِ المكسورُ..
ثُمَّ تركتِ لِى
قَيداً..
يُعربدُ فى خُطايَا



لا تنتظِرْ أحدًا..
فلَنْ يأتِي أحَدْ

لاَ تَنتظِرْ أحَدًا..
فَلَنْ يَأتِي أحَدْ
لَم يَبقَ شَيْءٌ غَيرُ صَوْتِ الرّيحِ
والسَّيفِ الكَسيحِ..
ووَجْهِ حُلمٍ يَرتعدْ
الفَارِسُ المَخْدوعُ ألْقَى تَاجَهُ
وَسَطَ الرّياحِ.. وعَادَ يَجْرِي خَائفًا
وَاليَأسُ بالقَلْبِ الكَسيرِ قَد اسْتَبدْ
صُورٌ عَلَى الجدْرانِ تَرصُدُها العُيونُ
وكلَّما اقْتربَتْ.. تُطِلُّ وتَبتَعِدْ
قَدْ عادَ يَذكرُ وجهَهُ

والعَزمُ فى عَيْنيهِ..
والأمجادُ بَيْنَ يديهِ..
والتَّارِيخُ فى صَمتٍ سَجدْ

* * *

الفَارسُ المَخْدوعُ فى لَيلِ الشّتاءِ
يَدورُ مذْعُوراً..
يفتّشُ عَنْ سَندْ
يَسْرِى الصَّقيعُ عَلَى وُجُوهِ النَّاسِ
تنبُتُ وَحشةٌ فى القَلْب..
يَفزعُ كُلُّ شَىْءٍ فى الجسَدْ
فى لَيْلةٍ شتْويَّةِ الأشبَاحِ
عَادَ الفَارسُ المَخْدوعُ منكَسِراً
يَجرُّ جَوادَهُ
جُثَثُ اللَّيالِى حَوْلَه
غَيرَ النَّدامةِ مَا حَصدْ
تَركَ الخيُولَ تفرُّ منْ فرسَانِها
كَانتْ خُيولُكَ ذَاتَ يَومٍ..

كَالنُّجومِ بِلاَ عَددْ
أسرَفتَ فِي البَيعِ الرَّخيصِ
وَجئتَ تَرجُو مِنْ أعادِيكَ المَدَدْ!
بَاعُوكَ فى هَذَا المزَاد..
فكيفَ تَسْمعُ زَيفَ جَلاَّدٍ وَعَدْ؟!

* * *

الفَارِسُ المخْدُوعُ ألْقَى رَأسَهُ
فَوقَ الجدَار..
وكُلُّ شَىءٍ فِي جَوانِحه هَمدْ
هَربتْ خيولُكَ من صَقِيعِ اليَأْسِ..
فالشُّطآنُ حاصرَها الزَّبدْ
لا شىْءَ للفرْسَانِ يَبْقى..
حِينَ تَنكَسِرُ الخيُولُ
سِوَى البَرِيقِ المرتَعدْ
وعَلَى امْتدادِ الأفْقِ تَنتَحِبُ المآذنُ..
والكَنائِسُ.. والقِبَابُ..

وصَوْتُ مَسجُونٍ سَجدْ
هَذى الخيُولُ تَرهَّلتْ
ومَواكبُ الفرْسانِ ينقُصُهَا
مَعَ الطُّهرِ . . الجَلَدْ
هَذا الزمَانُ تعفَّنتْ فيه الرُّءوسُ
وكُلُّ شَىءٍ فِى ضَمائِرِهَا فسَدْ
إنْ كَانَ هَذا العَصْرُ
قَدْ قَطعَ الأيادىَ والرّقابَ
فَكيفَ تأمنُ سُخطَ برْكانٍ خَمَدْ؟!

* * *

هَذى الخُيولُ العَاجزَهْ
لنْ تَستَطِيعَ الركّضَ . .
فِى قمَمِ الجبَالِ . .
وكَلُّ ما فِى الأفْقِ أمطَارٌ . . ورَعْدْ
مَاذا سَيبْقَى للجَوادِ إذَا تَهاوَى
غَيرَ أنْ يرْتاحَ فِى كفَنٍ . . ولحْدْ؟!

الفَارِسُ المكْسورُ ينْظرُ..
والسَّماءُ تطِلُّ فِى غَضَبٍ
وَبينَ دمُوعِها..
تَخبُو مَواثِيقٌ.. وعَهْدْ
خَدعُوكَ فِى هَذا المزَادِ
ظَنَنْتَ أنَّ السُّمَّ شَهدْ
قَتلوكَ فِى الأمسِ القَرِيبِ
فكيْفَ تَسألُ قَاتِلِيكَ
بأنْ تَموتَ بِحبْلِ وُدْ؟!
قَدْ كُنتَ يَومًا..
لا تَرى لِلحُلمِ حدًّا.. أىَّ حَدْ
والآن حَاصرَكَ المرَابِى
فِى المزَاد بألفِ وَعْدْ
هَذَا المرَابى..
سَوْف يُخلفُ كلَّ يومٍ ألفَ وَعدْ
لا تحزَنِى أمَّ المدَائِنِ.. لا تَخَافِى

سَوْفَ يُولَدُ مِن رمَادِ اليوْمِ غَدْ
فغداً سَتَنْبتُ بينَ أطْلالِ الحُطَامِ..
ظلالُ بُستَانٍ.. ووَرْدْ
وغَداً سَيخْرجُ من لَظَى هَذا الرُّكامِ
صَهِيلُ فرسَانٍ.. ومَجْدْ

* * *

الفَارِسُ المكسُورُ
يَنتَظِرُ النّهايةَ فى جلَدْ
عَينَانِ زَائغتَانِ..
وَجْهٌ شَاحِبٌ..
وبَريقُ حُلمٍ فى مآقِيه جَمَدْ
لا تَنتَظِرْ أحَداً..
فَلنْ يَأتِى أحَدْ
فَالآنَ حاصَرَكَ الجلِيدُ..
إِلى الأبدْ



متى يفيق النائمون؟

شُهداؤنَا . . بينَ المقَابرِ يَهمِسونْ :
والله إنَّا قَادمونْ
فى الأرضِ تَرتفِعُ الأيادِى . .
تَنْبتُ الأصْواتُ فى صَمتِ السُّكونْ
والله إنَّا راجعُونْ
تتساقَطُ الأحجَارُ يرتفعُ الغُبارُ . .
تُضِيءُ كالشَّمسِ العيونْ
والله إنّا عَائدونْ
شُهداؤنا خَرجُوا مِنَ الأكفانِ
وانتفَضُوا صُفوفًا . .
ثمَّ رَاحوا يَصرُخونْ :
عارٌ عليْكُم أيُّها المُسْتَسْلِمونْ

وَطَنٌ يُباعُ.. وأمةٌ تنساق قُطعَانًا..
وأنتمْ نائِمونْ!!
شُهداؤنا فوقَ المنابرِ يَخطُبونْ
قَامُوا إلى لُبنانَ صلُّوا فى كَنائِسِهَا
وَزارُوا المسْجِدَ الأقْصَى..
وطَافُوا فى رِحَابِ القُدْسِ..
وَاقتحَمُوا السُّجونْ
فِى كُلِّ شِبرٍ..
مِنْ ثَرَى الوَطَنِ المكبَّلِ يَنبتُونْ
مِنْ كُلِّ ركْنٍ فى رُبوعِ الأمَّةِ الثَّكْلى
أراهُم يَخْرُجونْ
شُهداؤنا وسَطَ المجازِرِ يَهْتفُونْ
اللهُ أكبرُ مِنكَ يا زَمنَ الجُنُونْ
اللهُ أكبرُ مِنكَ يا زَمنَ الجُنُونْ
اللهُ أكبرُ منكَ يا زمنَ الجُنُونْ

* * *

شُهداؤُنا يتقدَّمونْ
أصْواتُهمْ تَعلُو علَى أسوَارِ بَيروتَ الحزِينَةِ
فى الشَّوارِعِ.. فى المفَارِقِ.. يَهدِرُونْ
إِنى أرَاهُمْ فى الظَّلامِ يُحارِبونْ
رغمَ انكسَارِ الضَّوءِ..
فى الوَطنِ المكبَّلِ بالمهانةِ..
والدَّمامةِ.. والمجُونْ
والله إِنَّا عَائدُونْ
أكفَانُنا.. سَتُضِيءُ يومًا فى رِحَابِ القُدْسِ
سَوف تَعودُ تَقتحمُ المعاقِلَ.. والحصُونْ

* * *

شُهداؤنا فِى كلّ شبرٍ يَصرُخونْ:
يا أيُّهَا المتنَطّعونْ
كيفَ ارتَضَيْتُم أنْ ينامَ الذّئبُ
فى وَسطِ القَطيعِ.. وتأمَنُونْ؟!
وَطنٌ بِعَرْضِ الكَونِ يُعرَضُ فى المزادِ

وطُغمةُ الجُرذانِ..
فى الوطنِ الجريحِ يُتَاجِرونْ!!
أحْياؤنَا الموْتَى على الشَّاشَاتِ
فى صَخبِ النّهايةِ يسْكَرُونْ
مَنْ أجهَضَ الوَطنَ العرِيقَ
وكبَّلَ الأحْلاَمَ فى كُلِّ العُيونْ؟!
يا أيُّها المتَشَرْذِمونْ
سنخلّصُ الموْتَى مِنَ الأحياءِ..
مِن سَفهِ الزَّمانِ العَابثِ المجْنونْ
واللهِ إنّا قَادمونْ
«ولاَ تحسَبَنَّ الذينَ قُتلوا فى سَبيلِ اللَّهِ
أمواتًا.. بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ ربِّهمْ يُرزَقونَ»

* * *

شُهداؤنَا فِى كُلِّ شِبرٍ..
فى البِلاَدِ يُزَمْجِرُونْ

جَاءوا صُفُوفًا يسْألونْ:

يَا أيُّها الأحَياءُ مَاذَا تَفعَلونْ؟!

فِي كُلّ يومٍ كالقَطِيعِ عَلَى المذابِحِ تُصْلَبُونْ!!

تَتَسرَّبونَ علَى جَناح اللَّيلِ

كالفِئرَانِ.. سرًّا للذئابِ تُهرْوِلونْ

وأمَامَ أمرِيكَا..

تُقامُ صَلاتُكم فتُسبّحونْ

وتطُوفُ أعيُنكُم عَلَى الدُّولار..

فَوقَ ربُوعهِ الخضْراءِ يَبْكِي السَّاجِدونْ

صُورٌ على الشَّاشاتِ..

جُرذانٌ تُصافحُ بعضَها

والنَّاسُ مِنْ ألمِ الفَجيعة يَضحَكونْ

فِي صُورتَيْنِ تباعُ أوطانٌ.. وتَسقُطُ أمةٌ

ورُءوسُكمْ تحتَ النّعالِ.. وتركَعونْ!!

فِي صورتَينِ..

تُسلِّمُ القدْسُ العَرِيقةُ للذّئاب
ويَسْكرُ المتآمِرونْ

* * *

شُهداؤنَا فِى كُلّ شبرٍ يَصرُخونْ
بَيروتُ تَسبَحُ فى الدّماء
وفوقَهَا الطّاغوتُ يهدِرُ فى جُنونْ
بَيروتُ تسألُكمْ أليسَ لعِرْضِها
حقٌّ عليكُمْ؟!.. أينَ فَرَّ الرّافِضونْ؟!
وَأينَ غَابَ البائِعُونْ؟!
وَأينَ راحَ.. الهَارِبونْ
الصَّامتُونَ.. الغَافِلُونَ.. الكَاذِبُونْ؟!
صَمَتُوا جميعًا..
والرَّصاصُ الآنَ يخترِقُ العُيونْ
وإِذَا سَألتَ سَمعتَهُمْ يتصَايحُونْ
هَذا الزَّمانُ زَمانُهمْ

فِى كُلّ شىءٍ فِى الوَرَى يتحَكَّمونْ!!

* * *

لاَ تُسرِعوا فِى مَوكبِ البيْعِ الرَّخيص فإِنَّكمْ
فِى كُلّ شىء خَاسِرونْ
لنْ يتركَ الطُّوفانُ شَيئًا.. كلُّكمْ
فى اليَمّ يومًا غَارِقونْ
تَجرونَ خَلفَ الموتِ..
والنخَّاسُ يَجرى خَلفَكُمْ
وغَدًا بأسْواقِ النّخاسةِ تُعرَضُونْ
لنْ يَرحمَ التَّاريخُ يومًا
مَن يفرّطُ.. أوْ يخونْ
كُهَّانُنا يترنَّحونْ
فوقَ الكراسِى هَائمونْ
فِى نَشوةِ السُّلطانِ.. والطُّغيانِ..
رَاحُوا يَسكَرونْ
وشُعوبُنَا ارْتاحتْ.. ونَامتْ

فِي غَيابَاتِ السُّجونْ
نَامَ الجميعُ وكلُّهمْ يتثَاءبُون
فمتَى يَفيقُ النائمُونْ؟!
مَتَى يَفيقُ النَّائمونْ؟!



فِى كل صَبَاح

فى كل صباحٍ يَرسمُنى ضوءُ المرآهْ
أبتسمُ قليلاً فى وجَهِى
أسأل عَن شىءٍ من زمنٍ
مَا عُدتُ أراهْ
طِفلٌ غادرَنِى ذاتَ مساءٍ
وتَوارتْ كالعمرِ خطاهْ
لكنى ما زلتُ أغنى
إِنْ عادتْ تشرِقُ فى عُمرِى
يَومًا عَيناهْ
يَحْملُنى صَوتٌ مثلُ النهرِ..
إِذا فاضَت فى الأرضِ يداهْ
يِحْملِنى نبضٌ مثلُ الحبِ

إذا طَافتْ يومًا ذكراهْ

* * *

فى كل صباحٍ تَغمرُنى نَسماتُ الصَّيفْ
تَغسلنى تَمسحُ عَن وجْهِى أشْباحَ الزيفْ
أخَلعُ عَن رأسى شبحَ الموتِ..
فتلْقانى أشْباحُ الخوفْ
أبتَسمُ قليلاً فى وجْهى
يَظهرُ فى عَينى جلادٌ
يَحتضنُ السّيفْ
فأُطَأطِئُ فى ألمٍ رأسِى
والعَالَمُ يرسمُ من حوْلِى ألوانَ الطَّيفْ

* * *

فِى كُلِّ صَباحٍ
تَصفَعُنى أخبارُ جريدةْ
صورُ الجرذانِ عَلىَ الأوراقِ تُحاصِرنى
فتمُوتُ قَصيدَةْ



المزَادُ

فِى وحشةِ الأيّامِ..
والزمنِ الكَريهْ
لم يبقَ شىءٌ
غيرُ حُبِّك أشتهيهْ
فالنهرُ.. هَذَا العاشِقُ المجنونُ
أنكرَ عاشِقيهْ
والحلمُ فى صَخبِ المزادِ
يدورُ فى سفهٍ.. وتِيهْ
والصبحُ.. هذا العابثُ المختالُ
أنكرَنا.. وعانَق قَاتليهْ
والنّهرُ.. هذا الماردُ الجبّارُ..
يرقدُ فى المزاد.. وحَوله السمسارُ
يَسألُ.. عن مُرابٍ.. يشْتريه



عَاشِقُ الحَرْف..

إلى أسْتاذِى وصَديقِى مُصطفى أمين

يا عـاشقَ الحـرفِ.. دمعُ الحـرفِ يُدمـينا
مَن بَعْـــدَك الآنَ بالأحــــلامِ يروينَا؟!
لم تَغْـربِ الشَّـمسُ يومًـا عن شَـواطئنَا
مـا دُمتَ تَحـمِلُ نايَ الحبِّ.. تُشـجينَا
الحـــرفُ عندَكَ أوتارٌ تداعــبُــهـــا
يَشْـدُو بهـا الكونُ إيقـاعًـا.. وتلحـينَا
الحـــرفُ عندكَ قـــداسٌ.. ومـــئـــذنةٌ
وعـــاشقٌ قــد رأى فى عِـشـــقِــه دينَا
الحـــرفُ عندكَ فُـــرســـانٌ.. وســـاريةٌ
وقلعــةٌ من قـــلاعِ المجـــدِ تَحــمـــينَا

الحـــرفُ عـندكَ أوطانٌ مُــــحَــرَّرةٌ
لا ظلمَ فــيـــهــا.. ولا زيفًــا يُمنّينَا
الحـــرفُ عـندكَ سلطانٌ بلا ســـفـــهٍ
نَفْـديه فى الضـيقِ.. عند الخَطبِ يَفْـدينَا
الحـــــرفُ عندكَ عــــشقٌ لا دواء لـه
كـم أهلَكَ العـشقُ فى الدنيـا مُـحـبّـينَا!

* * *

الحـرفُ وجـهـان.. وجـهٌ كـاذبٌ دَنسٌ
وآخــــرٌ من رياض الحق يَسْـــقِــينَا
الحــــرفُ فى الأرضِ آياتٌ مطهَّـــرةٌ
نـورٌ منَ اللهِ بيْنَ الخلق يَهـــــــدِينـا
فى رحلةِ العـــمـــرِ أقـــلامٌ يُزيِّنُهَـــا
تاجُ الشـمـوخِ فَـيَـسْـرِى عطرُها فـينَا
مـــــواكـبُ الزيـفِ أقــــلامٌ ملـوثـةٌ
بَاعتْ حِـمى الأرضِ.. واغـتـالتْ أمَـانينَا

فى عَتمةِ السّجنِ جلادٌ.. وحاشيةٌ
وسَطْوةُ القهرِ فى الأوْحَالِ تُلقينَا
قُضْبانُهُ السّودُ ما زالت تُحاصِرُنَا
فى كُلّ ليلٍ قبيحِ الوجهِ يَطْوِينَا
كُنتَ السَّجِينَ الذى ما هدّهُ زمنٌ
ولا ارتضى ساعةً فى عَزْمِهِ لِينَا
تسعٌ عِجَافٌ.. وسيفُ الظُّلمِ يقْهرُنَا
ويَعبَثُ الموتُ فى أرجاءِ وادِينَا
نهرٌ من الدّمِ يجرى فى مضَاجعنا
وصرخةُ اليأسِ تعْوِى فى ليالينَا
فى محنةِ السّجنِ حرفٌ ذَابَ فى ألمٍ
وريشةٌ صارعت فى الليلِ تِنّينَا
فى ساحةِ الظّلمِ أنفاسٌ معذَّبةٌ
ومُهجَةٌ عانقت بالحبِّ سكّينَا
هل يشفعُ الحبُّ.. والجلادُ يرصُدُنا؟!
كى يشربَ العمرَ خمْراً.. ثم يُلقينا؟!

فى مـــحنةِ العـــمـــرِ أوراقٌ مُـــبـــعـــثَـــرةٌ
البَعضُ منهـا انطوى.. والبـعضُ يُشـقينا

* * *

مـصـرُ التى عـانقت بالحبّ عَـاشـقَـهَـا
وأوْدَعتْ سِـــرَّها فى قَلبـــهِ حـــينَا
تبكيكَ ابناً عـــزيزاً لن يُفـــارِقَـــهـــا
فى كلّ فـــجـــرٍ جـــديدٍ سَـــوف تأتينَا
فى ليلةِ القـــــدرِ تأتينا بلا مللٍ
بكلّ حُلمٍ برىء الوجـــهِ تهْـــدِينَا
فى كلّ بيتٍ ترى أمًّـــا يعـــانقُـــهـــا
فـــيضٌ من الحبِّ يَجْـــرِى فى مـــآقِـــينَا
الموتُ كـــالطّيف.. أحـــيـــانًا يُدَاعـــبُنَا
مَـــهـــمَـــا نسيناهُ يبـــدُو سَـــاكناً فـــينَا
يا عـــاشقَ الحـــرفِ أيامُ المنى عَـــبَـــرَتْ
وفى زِحـــامِ الأسَى غَـــابَتْ أغـــانِينَا

إِن كـانت الأرضُ بالإِنصـافِ قـد بَخلتْ

فى جَنةِ الخُلدِ نَلْقَى العَـــدلَ رَاضِـــينَا

فى رحـــمَـــةِ اللهِ أبوابٌ مُـــجنّحـــةٌ

تُؤوى القلوبَ التى عَـــانتْ.. وتُؤوِينَا

قـد عـشتَ ترجُـو من الرحـمنِ رَحْـمَـتَـهُ

فـــاهنَأ بهـــا الآنَ.. فى دارِ المحـــبـــينَا



هَلْ كُنتَ تعلَم؟

مَا كنتُ أعلمُ..
أنَّ آخرَ ما سيبْقَى فى شُحوبِ العمرِ
قِنديلٌ كَسيحْ
مَا كنتُ أعلمُ
أنَّ آخرَ ما سَيبقَى
فوقَ أطلالِ الرُّبوعِ الخضرِ
عصفورٌ جريحْ
ما كنتُ أعلمُ
أنَّ دندنةَ اللَّيالِى الرَّاقصاتِ
مَعَ الأمانِى
سَوفَ تُصبِحُ قَبضَ ريحْ
مَا كُنتُ أعلمُ..

أنَّنِى كَمُصارعِ الثِّيرانِ
يَقفزُ فى الهَواءِ
ويَرتَمى فِى الأرضِ
ثمَّ يموتُ.. والدُّنيا تَصيحْ
لا شْىءَ يبقَى مِن صِياحِ الناسِ
غَيرُ سَحابةٍ تَبكى
عَلى الدَّمْ الذبيحْ
ثورٌ.. وإِنسانٌ.. وموتٌ ظالمٌ
يتعانقَانِ معَ النهايةِ..
بينما الدنيَا تهلِّلُ بالمديحْ
الكلُّ فِى صمتٍ مضى
ومعَ النهايةِ.. يستريحْ



نام الموْجُ

لا تنظُرِى للبحرِ..
مَاذا قَد تَبَقَّى مِن نوارِسِهِ
وماذا قد رَحَلْ؟!
سكنتْ شَواطِئُنا
ونامَ الموجُ..
وارتاحَ الأمَلْ
فلتترْكِينِى الآنَ أسْهرُ فى عيونِكِ
قبل أن تُلقِى بنا الأيامُ..
فى صخَبِ الدّجلْ



رحلة النسيان

الوقتُ ليلٌ.. والدقائقُ بيننَا
زمنٌ طويلٌ حين يسكنُنا الضجَرْ
ما زِلتُ أنظرُ للسماءِ فلا أرى
غيرَ السّحابِ..
ورعشةَ البرقِ المسافرِ.. والمطرْ
فالسّحبُ ترتَعُ فى السّماءِ.. فينزَوِى
ركبُ النجومِ..
ويَختفِى وجهُ القمرْ
ما عدتُ ألمحُ أىَ شىءٍ فى طَرِيقِى
كلما فتَّحتُ عينى
لاحَ فى قدمِى حجرْ
إنّى لأعرِفُ أن دربَكِ شائكٌ

وبأنَّ هذا القلبَ
أرّقَه الرحيلُ..
وهَدّهُ طولُ السفرْ
إنّى لأعرِفُ أنَّ حبَّكِ لم يزَل
ينسابُ كَالأنهارِ فى عمرى
ويورِقُ كالشّجرْ
وبأنَّنى سأظلُّ أبحِرُ فى عيونكِ
رغم أنّ الموجَ أرّقنى زمانًا
ثم فى ألمٍ غَدَرْ
وبأنَّ حُبَّكِ..
مارِدٌ كسرَ الحدودَ..
وأسقَطَ القلبَ المكابرَ.. وانتصرْ
أنَا لم أكنْ أدرِى
بأنَّ بدايةَ الدُّنيا لديكِ..
وأنّ آخرَها إليكِ..

وأنّ لقيانَا قدرْ

* * *

الوقتُ ليلٌ.. والشتاءُ بلا قَمَرْ
نَشتاقُ فى سَأمِ الشتاءِ..
شعاعَ دفءٍ حولَنَا
نَشتاقُ قِنديلاً يسامرُ ليلَنا
نَشتاقُ منْ يَحكِى لنَا
من لا يَمَلُّ حديثَنَا
تَنسابُ أغنيةٌ
فتمحُو ما تراكَمَ من هوانِ زمانِنَا
نهفُو لعصفورٍ..
إِذا نامت عيونُ الناسِ
يؤنسُنا.. ويشدُو حولْنَا
نشتَاقُ مدْفأةً
تُلَملمْ ما تَناثرَ من فُتاتِ عِظامِنَا

نشتَاقُ رِفقةَ مُهْجةٍ تحنو علينَا..
إنْ تكاسلَ فى شحوبِ العمرِ
يومًا نبضُنا
نشتاقُ أفراحًا..
تُبدّدُ وحشةَ الأيامِ بين ضلوعنا
نشتاقُ صدرًا يحتَوينا..
كُلما عَصفَت بنا أيدى الشتاءِ
وشرَّدتْ أحلامَنَا

* * *

الوقتُ ليلٌ.. والشتاءُ بلا قَمَرْ
مَاذا سَيبقَى فى صَقِيعِ العُمرِ
غَيرُ قَصِيدةٍ ثكْلى..
يُعانقُها كِتابْ؟!
وأناملٌ سَكَنَتْ علَى أوتارِها
وترنَّحَتْ فى الصَّمتِ بين دَفاترِ الذّكرى
فَأرَّقها العذابْ

وبَريقُ أيامٍ
تعثَّرَ بينَ ضوءِ الحُلمِ أحْيانًا . .
وأشْباحِ السَّرابْ
وزَمانُ لُقْيَا . .
طَافَ كالأنسَامِ حينًا
ثم بعْثرهُ الغِيَابْ
وقَصيدَة . .
سَئمتْ سُجونَ الوَقتِ . . فانتفَضتْ
تحلّقُ فى السَّحابْ
وحِكَايةٌ عَنْ عاشقٍ . .
رَسَمَ الحياةَ حديقةً غَنَّاءَ فى أرضٍ خَرابْ
وأتَى الشّتاءُ . .
فأغْرقَ الطُّرقات
أسْكَتَ أغْنيات الشَّمسِ
أوْصَدَ فى عُيونِى كُلَّ بابْ
الوقتُ ليلٌ . . والشتاءُ بلا قَمَرْ

يأتى الشتاءُ وعطرُها
فوقَ المقاعد والمرايا الباكيهْ
وتُطلُّ صورتُها على الجدرانِ
وجهًا فى شموخِ الصبحِ
عينًا كالسماءِ الصافيهْ
أطيافُها..
فى كلّ ركنٍ تحمِلُ الذكرى
فتُشعلُ نارَها
أحلامُ عمرٍ باقيهْ
الكونُ يصْغُرُ فى عيونِ الناسِ
حين يصيرُ عمرُ المرءِ ذكرى
أو حكايا ماضيهْ
فى رحلةِ النسيانِ
تلتئمُ الجِراحُ وتنطوى..
إلاَّ جِراحَ القلبِ تبقى فى الجوانحِ داميهْ

* * *

الوقتُ جلادٌ قبيحُ الوجهِ
يرصُدُ خُطوتى..
وشتاؤُنَا ليلٌ طويلٌ عابثٌ
ما أسوأهْ
لا تسألِ الملاحَ
حين يغيبُ فى وسط الظلامِ
متى سَيَدْنُو مرفأهْ؟
لا تسألِ القلبَ الحزينَ
وقد تناثرَ جُرحُهُ
عن أى سرٍّ خبأهْ؟
لا تسألِ الحلمَ العنيدَ
وقد تعثرت الخُطى
مَنْ يا تُرى.. قبلَ النهايَةِ أرجأهْ؟!
فالوقتُ ليلٌ
والقناديلُ الحزينةُ حولَنا
تبدو عيونًا مُطْفَأهْ

لا تكتوى بين الشموعِ
وأنتَ ترسمُ صورةَ الأمسِ البعيدِ
على رَمادِ المدْفأهْ
فالعمرُ أجمَلُ..
مِنْ عُيونِ حبيبةٍ رحلتْ
وأغلى..
من عذاباتِ امرأهْ



حَنِين

سَــافَــرْتُ يَوْمًــا . . وظَلَّ القَلْبُ فِى بَلَدِى

حَــاوَلْتُ أنْسَــاهُ . . لَكِنْ خَــانَنِى جَلَدِى

أنسَاكِ يَا مِصْرُ؟ . . كَيْفَ القَلْبُ يَسْكُنُنِى

وَكَـيْفَ لِلرُّوحِ أنْ تَمْـضِى عَنِ الجَسَـدِ؟!

أهْواكِ عُـمْـرًا جَـمِـيـلاً لا يُفَـارِقُنِى

وَقِـصَّـةً مِنْ هَوىً تَـحْـيَـا إلِىَ الأبَدِ

يَا مِـصْـرُ . . يَا قِـبْلَة العُـشَّـاقِ . . يَا وَطَنِى

كُلُّ الأمـانِى مَضَتْ . . وَبقِيتِ لِى سَنَدِى

فِى القَلْبِ نَبْضٌ وَفِى الأعْـمَـاقِ أغْنِيَـةٌ

مَـهْمَا رَحَلْتُ سَيَبْقَى . . القَلْبُ فِى بَلَدِى

لا شيءَ.. بعْدِى

مِن أىِّ شىءٍ تَهربينْ؟
مِن وَحشةِ الأيامِ بعدِى
أم مِنَ الذِّكرى..
وَأطيافِ الحنينْ؟!
مِن لوعَةِ الأشْواقِ
والحلمِ المسَافرِ..
وانطْفاءِ الضَّوءِ فى القَلبِ الحزينْ؟!
لا شىءَ بعدِى غيرُ حزنٍ صامتٍ
ينسابُ فى عَينيكِ حينَ تفكِّرينْ
لا شىء بعدِى
غَيرُ وجهٍ جامدٍ
وبراءةٍ ثَكلَى كَلَيلِ العابثينْ

لا شيءَ بعدِى
غَيرُ بيتٍ صامتٍ
يَروى حكَايا الراحلينْ
لا شيءَ بعدى
واسْألى العشاقَ
كيف يطولُ ليلُ العاشقينْ؟!
فلتهرْبِى مَا شئتِ عن عَينِى
فإنكِ فى الضُّلوعِ تسافرينْ



قصِيدة

وغداً..
ستشطرنا اللَّيالى.. والمسافاتُ البعيدهْ
وتدوسُ فوقَ رءوسِنا الأيامُ
أصرخُ هاهنا وحدِى
وأنتِ هناكَ يا قلبى وحيدهْ
وستجلسينَ أمام مدفأةٍ وبينَ رمادِها
تخبو مَع النيرانِ أيامٌ سعيدهْ
وستشرَبين الكأسَ..
ثم تدَور رأسُكِ فى الفراغِ
وتسقطُ الأيامُ بين يديكِ
يا عُمرى شهيدهْ
ويجىء وجهٌ غيرُ وجهى

ثم ترتعدُ العيونُ الذابلاتُ

أمامَ أمنيةٍ طريدهْ

تنسينَ أيامى.. وَقدْ أنساكِ

ثُم يطِلُّ وجهُكِ..

بَين أوراقِى الشّريدهْ

ويُطلُّ حُبكِ فى خَرِيف العُمرِ.. أمنيةً عَنيدهْ

لَوْ ألفُ عامٍ فرقَتْنا..

سَوفَ يجمَعُنا حَنينٌ.. أوقَصِيدهْ



حتى الحِجَارة...
أعلنت عِصيَانها..

(بينَما كانَ عمالُ «الهَدَد» يهدمُون كوبرى أبوالعلا توقفت أدوات «الهَدَد» فجأة أمامَ حجرٍ ضخمٍ فى قلبِ النيل.. وقالوُا إنّهم سمِعوا فى اللَيلِ أنينَه)

حَجرٌ عَتيقٌ فوقَ صَدرِ النِّيل . .
يصرُخُ فِى العَراءْ . .
وقَفَ الحزينُ عَلَى ضِفَافِ النَّهرِ
يَبكِي فِى أسىً
ويَدورُ فى فَزعٍ
ويشْكُو حزْنَه للماءْ
كَانتْ رِياحُ العُرى تلفحُهُ
فيحْنِي رأسَه

ويئنُّ في ألمٍ.. ويَنظرُ للورَاءْ
يَتذكَّرُ المسْكينُ أمْجادَ السّنينِ العَابراتِ
عَلى ضفَافٍ من ضِياءْ
يَبكِي عَلَى زمنٍ تولى
كانتِ الأحجَارُ تيجَانًا.. وأوسِمةً
تُزَيّنُ قامةَ الشُّرفاءْ
يَدنُو قَليلاً من مِياهِ النَّهرِ يلمَسُها
تُعانِقُ بؤسَه
يترنحُ المسكينُ بينَ الخوفِ.. والإِعياءْ
ويعودُ يسألُ..
فالسماءُ الآنَ فِي عَينَيْه ما عَادَت سماءْ
أينَ العَصَافيرُ الَّتي رحَلتْ
وكانتْ كلَّما هاجَتْ بِها الذّكرى
تحنُّ إِلَى الغناءْ؟!
أينَ النَّخيلُ يُعانِقُ السُّحبَ البَعِيدةَ

كُلَّما عَبرَتْ علَى وجهِ الفَضاءْ؟!
أينَ الشّراعُ علَى جناحِ الضَّوءِ
والسَّفرُ الطَّويلُ.. ووَحشةُ الغرباءْ؟!
أينَ الدُّموعُ تُطلُّ من بَيْنِ المآقى
والرَّبيعُ يُودّع الأزهَارَ
يَتْركُهَا لأحزَانِ الشّتاءْ؟!
أينَ المواوِيلُ الجميلةُ
فوقَ وجهِ النّيلِ تَشهدُ عُرْسَه
والكَونُ يرْسمُ للضّفَاف ثيَابهَا الخضْراءْ؟!
حَجرٌ عَتيقٌ فَوقَ صَدرِ النّيلِ
يبْكى فِى العراءْ..
حَجرٌ.. ولكنْ من جُمودِ الصَّخرِ يَنبتُ كبرِياءْ
حَجرٌ.. ولكنْ فى سَوادِ الصَّخرِ قنديلٌ أضاءْ
حَجرٌ.. يعلّمنَا معَ الأيَّامِ درْسًا فِى الوَفاءْ
النهرُ يعرِفُ حُزنَ هَذا الصَّامتِ المهمُومِ

فى زمَنِ البلاَدةِ .. والتَّنطُّعِ .. والغَباءْ
حَجرٌ عَتيقٌ فَوقَ صدْرِ النّيلِ
يَصرُخُ فى العَراءْ
قدْ جاءَ مِنْ أسْوانَ يَومًا ..
كَانَ يحمِلُ سرَّهَا
كَالنُّورِ يمشِى فَوقَ شطّ النيلِ
يَحكِى قِصَّةَ الآباءِ للأبنَاءْ
فِى قَلبِهِ وَهجٌ .. وفِى جَنْبيْهِ حلمٌ واثِقٌ
وعلَى الضّفافِ يَسيرُ فى خُيَلاءْ
مَا زالَ يذكُر لونَهُ الطّينىَّ
فِى ركْبِ الملُوكِ ..
وخلْفهُ يَجرِى الزَّمانُ وتَركعُ الأشْياءْ
حَجرٌ من الزَّمنِ القَديمِ
عَلى ضِفَافِ النّيلِ يَجلسُ فى بَهاءْ
لمحُوهُ عِندَ السَّدّ يَحرُسُ ماءَهُ

وجَدُوه فِى الهَرمِ الكَبِيرِ
يُطِلُّ فِى شمَمٍ وينْظرُ فى إبَاءْ
لمحُوهُ يوماً ..
كَانَ يَدعُو للصَّلاة عَلَى قِبَابِ القُدْسِ
كَان يُقيمُ مِئذَنةً تُكَبّرُ..
فوقَ سَدّ الأوليَاءْ
لمحُوه فى القُدسِ السَّجِينةِ
يَرجُمُ السُّفهَاءْ
قَدْ كانَ يركُضُ خَلفَهمْ مِثلَ الجوَادِ
يُطارِدُ الزَّمنَ الردىءَ.. يَصيحُ فَوقَ القُدسِ
يَا اللهُ.. أنْتَ الحقُّ.. أنْتَ العَدلُ..
أنتَ الأمْنُ فينَا.. والرَّجاءْ
لا شيءَ غَيرُكَ يُوقِفُ الطُّوفانَ
هَانتْ فِى أيَادِى الرّجسِ أرْضُ الأنبياءْ
حَجرٌ عتِيقٌ من زمَانِ النُّبلِ

يَلعَنُ كلَّ مَنْ باعُوا شُموخَ النَّهرِ
فِي سُوقِ البغاءْ
وَقفَ الحزِينُ علَى ضِفَافِ النَّهرِ يَرقُبُ ماءَهُ..
فَرأى عَلَى النَّهرِ المعَذَّبِ
لَوعةً.. ودُموعَ مَاءْ
وتَسَاءلَ الحجرُ العَتيقُ
وقَالَ للنَّهرِ الحَزِينِ أرَاكَ تبْكِي
كَيف للنَّهرِ البُكاءْ؟!
فأجابهُ النَّهرُ الكَسيرُ:
عَلَى ضِفَافِي يَصرُخُ البؤَساءْ
وفَوقَ صَدرِي يعْبثُ الجُهلاءْ
والآنَ ألعَنُ كلَّ مَنْ شَرِبوا دِماءَ الأبرِيَاءْ
حَتَّى الدمُوعُ تحجَّرتْ بين المآقي..
صَارتِ الأحزانُ خُبزَ الأشقِياءْ
صَوتُ المعَاولِ يشْطرُ الحجرَ العَنِيدَ

فيرتَمِى فى الطيّنِ تَنْزِفُ مِنْ مآقيهِ الدّماءْ
وَيظَلُّ يَصرُخُ والمعاوِلُ فوقَهُ
والنّيلُ يكْتمُ صرَخةً خَرساءْ

* * *

حَجرٌ عَتيقٌ..
فَوقَ صَدْرِ النّيلِ يبْكى فِى ألمْ
قد عَاشَ يَحفَظُ كلَّ تارِيخِ الجُدودِ.. وكمْ رأى
مَجدَ اللَّيالِى فَوقَ هامَاتِ الهَرمْ!
يَبْكى منَ الزَّمنِ القبيحِ
ويشْتكِى عَجزَ الهِممْ
يَترنَّحُ المسْكِينُ.. والأطلالُ تَدمى حَولهُ
ويغُوصُ فى صَمْتِ التُّرابِ..
وفِى جوانِحه سأمْ
زمنٌ بَنَى منْه الخلُودَ.. وآخرٌ
لَم يُبْقِ منهُ سِوَى المهَانَةِ.. والنَّدمْ

كَيفَ انْتهَى الزَّمنُ الجميلُ
إِلى فَراغٍ.. كالعَدمْ؟!

* * *

حَجرٌ عَتِيقٌ..
فَوقَ صدرِ النّيلِ يصرُخُ
بَعدَ أنْ سئِمَ السُّكوتْ
حَتَّى الحجارةُ أعْلنتْ عِصْيانَها
قَامتْ عَلَى الطُّرقاتِ.. وانتفَضَتْ
ودَارتْ فَوقَ أشْلاءِ البُيوتْ
فِى نبْضِنَا شَىءٌ يَموتْ
فى عَزمِنَا شَىءٌ يموتْ
فِى كلِّ جُحرٍ فى ضِفافِ النَّهرِ
يَرتعُ عَنكبوتْ
فى كلّ يَومٍ فى الرُّبوعِ الخضْرِ
يُولدُ ألفُ حُوتْ

فى كلّ عُشٍّ فَوقَ صدْرِ النّيلِ
عُصفُورٌ يموتْ

* * *

حَجرٌ عتيقٌ..
لَم يزلْ فِى اللَّيلِ يبْكى كالصّغارِ
عَلى ضِفافِ النّيلْ
مَا زالَ يسْألُ عَنْ رِفاقٍ
شَاركُوه العُمرَ.. والزَّمنَ الجمِيلْ
قَد كانَتِ الشُّطآنُ فى يَومٍ
تُداوِى الجرْحَ تَشدُو أغْنيَاتِ الطَّيرِ
يُطرِبُها مِنَ الخيلِ الصَّهيلْ
كَانت مِياهُ النّيلِ تَعشقُ
عِطرَ أنفَاسِ النَّخيلْ
هَذى الضّفافُ الخضرُ
كمَ عاشَتْ تُغنّى للهَوَى شمَسَ الأصيلْ!

النَّهرُ يمشِى خَائرًا
يتسَكَّعُ المسْكِينُ فى الطُّرقاتِ
بالجسَدِ العَلِيلْ
قد علَّموهُ الصَّمتَ.. والنّسيَانَ..
فى الزَّمنِ الذَّلِيلْ
قد علَّموا النَّهرَ المكَابرَ
كَيفَ يأنسُ للخُنوعِ..
وكيفَ يرْكعُ بينَ أيدِى المسْتَحِيلْ؟!

* * *

حَجرٌ عتِيقٌ فَوقَ صدرِ النّيلِ
يَصرُخُ فى المدَى
الآنَ يُلْقِينِى السَّماسِرةُ الكبَارُ
إِلىَ الرَّدَى
فَأموتُ حُزنًا..
لاَ وَداعَ.. ولا دُموعَ.. ولاَ صَدًى

فَلْتسأْلوا التَّارِيخَ عَنّى

كلُّ مَجدٍ تحتَ أقدَامِى ابْتدَا

أنَا صَانِعُ المجْدِ العَرِيقِ ولمْ أزلْ

فِى كُلِّ ركْنٍ فِى الوُجودِ مُخَلّدا

أنَا صحْوةُ الإِنسَانِ فى رَكْبِ الخُلودِ

فكيفَ ضَاعَتْ كُلُّ أمجادِى سُدَى؟!

زَالتْ شعُوبٌ.. وانطَوتْ أخبارُها

وبَقيتُ فى الزَّمنِ المكابِرِ سيدَا

كَم طَافَ هذَا الكَونُ حولِى

كُنتُ قُداسًا.. وكُنتُ المعبَدا!

حَتىَّ أطلَّ ضِياءُ خَيرِ الخلْقِ

فانتفَضَتْ ربُوعِى خَشيةً

وغَدوتُ للحَقِّ المثابرِ مَسْجِدَا

يَا أيُّهَا الزَّمنُ المشَوّهُ

لَن تَرانِى بعْدَ هَذا اليوْمِ وجَهًا جامِدا

قُولُوا لَهمْ:
إنَّ الحجَارةَ أعْلَنت عِصيَانَها
والصَّامتُ المهمُومُ..
فِى القيْدِ الثَّقيلِ تمردَا
سَأعودُ فَوقَ مِياهِ هَذا النَّهر
طَيرًا مُنشِدَا
سَأعودُ يَومًا حِينَ يغتَسِلُ الصَّباحُ
البِكرُ فى عَينِ النَّدَى..
قُولوا لَهُمْ:
بَين الحجَارةِ عَاشِقٌ
عَرفَ اليقِينَ علَى ضِفَافِ النّيلِ يَومًا
فاهْتَدى..
وأحَبَّهُ حتَّى تلاشَى فِيه
لَم يعرِفْ لهذَا الحبّ عُمرًا.. أو مَدَى
فأحبَّه فِى كُلّ شَىءٍ

فِى ليالِى الفَرحِ فى طَعْمِ الرَّدى
مَن كانَ مِثلِى لاَ يموتُ وإِنْ تغيَّرَ حالهُ . .
وبدَا عليْه . . مَا بَدَا
بعضُ الحجَارةِ كالشُّموسِ
يَغِيبُ حِيناً ضَوْؤُها
حَتَّى إِذَا سقَطتْ قِلاعُ اللَّيلِ . . وانكَسرَ الدُّجى
جَاء الضّياءُ مُغرّدَا
سَيظلُّ شىءٌ فِى ضَمِيرِ الكَونِ يُشْعِرُنِى
بأنَّ الصُّبحَ . . آتٍ إِنَّ موعدَه غدَا
لِيعُودَ فجرُ النّيلِ مِنْ حَيثُ ابْتدَا
لِيعُودَ فَجرُ النّيلِ مِنْ حَيثُ ابْتدَا

لَوْ أنَّنَا .. لَمْ نَفْتَرِقْ
كَانَتْ خُطَانَا فِى ذُهولٍ تَبتعِدْ
وتَشُدُّنا أشْواقُنا
فنعُودُ نُمسكُ بالطَّريقِ المرتَعِدْ
تُلقِى بنَا اللَّحظَاتُ
فى صَخبِ الزّحامِ كَأنَّنا
جَسدٌ تَناثَرَ فى جَسدْ
جَسَدانِ فى جَسد نسيرُ وَحولَنا
كَانتْ وجوهُ النَّاسِ تَجرِى كالرِّياحِ
فَلا نَرَى مِنْهُمْ أحدْ

دار الشروق
www.shorouk.com
6 221102 015141